المدن الصغيرة في سهل السرسو، دورها الوظيفي وأدائها المجالي

مزياني عائشة[1] عثمان طيب[2]

[1]طالبة دكتوراه (قسم الجغرافيا وتهيئة الإقليم، مخبر الفضاء الجغرافي والتهيئة العمرانية، جامعة وهران **2**

[2] أستاذ التعليم العالي، مخبر الفضاء الجغرافي والتهيئة العمرانية، جامعة وهران 2

aicha_meziani@hotmail.fr

ملخص:

يعتبر السرسو، المعروف بموطن الحبوب والماشية المنطقة الأكثر ديناميكية في ولاية تيارت، كان في بداية تعميره عبارة عن مجموعة من مراكز اسكان على شكل قرى فلاحية استعمارية، تم توطينها بالقرب من المزارع إضافة إلى دواوير والمحتشدات. نمى وتواصل تعميره بعد الاستقلال بوتيرة أسرع وفق سياسة عقارية مغايرة انتهجتها الجزائر المستقلة، رغم أنها كانت بنفس الصورة السابقة تقريبا متمثلة في القرى الفلاحية الاشتراكية إلا أن أهدافها وأدواتها اختلفت .

تحولت القرى الفلاحية الاستعمارية والاشتراكية مجاليا، اقتصاديا واجتماعيا فأصبح البعض منها مجمعات حضرية وأخرى شبه حضرية، أو مناطق تمدد حضري للفائض السكاني لمجمعتي تيارت وتيسمسيلت، واستقبلت تجهيزات ووظائف حضرية مختلفة على غرار الصناعة وأنشطة القطاع الثالث، وبالتالي ساهمت في تسريع التحضر ولاسيما بعد ترقية بعضها الى مصاف البلديات من خلال التقسيم الاداري (سنة 1974، 1984) كما سمحت بتكثيف الشبكة العمرانية في المنطقة فقد تضاعف عدد المجمعات العمرانية في الفترة 1966- 2008 (انتقل من 16 إلى 28 مجمعة)، وأصبحت مدنا صغيرة ومتوسطة بالنظر لحجمها السكاني ووظائفها المتعددة .

نحاول من خلال هذه الورقة البحثية دراسة التحولات المجالية والاقتصادية لهذه المجمعات، ما مدى اندماجها في الشبكة الحضرية للسرسو؟ وما هي الأدوار الوظيفية والمجالية التي تؤديها؟

الكلمات الدالة: السرسو، التحضر، المدن الصغيرة، التحولات، الشبكة الحضرية، الوظائف الحضرية

مقدمة:

يعيش أكثر من ثلثي السكان في العالم في الوقت الحالي في المدن بعد تسارع وتيرة التحضر بفعل تركز الأنشطة والوظائف بها. العالم العربي عموما والمغرب العربي بشكل خاص يسيران في نفس السياق، حيث سجلت دولهم معدلات كبيرة. عرفت الجزائر ظاهرة التحضر منذ القدم حيث تعود جذورها التاريخية لمختلف الحضارات التي مرت بها إلا أنها كانت محصورة مجاليا ولم تعرف تطورا كبيرا إلا خلال الأربعون عاما الأخيرة، حيث اتخذت شكلا من أشكال

الانفجار الحضري الذي زعزع المشهد والعقليات والمجتمع نفسه (Côte,,1994)، إذ أن معدل التحضر تضاعف مرتين ما بين 1966 و2008 (31.43% مقابل 65.94%).

بالرغم من أن ثلث سكان العالم مازال يعيش في الأرياف ألا أنهم أصبحوا يميلون نحو التجمع أكثر، الأمر الذي سهل الطريق نحو غزو المدينة للأوساط الريفية وقلص مساحتها فلم تعد هناك ثنائية مبسطة بين هذين الوسطين. أنتج هذا الغزو شكلا إقليميا متميزا وفريدا في بلدات ومدن المحيط الهادئ، أصبح يسمى القرى الحضرية والمدن القروية وهو أكثر وضوحا في جزيرة ميلانيزيا (AsianDéveloppent Bank, 2016)، حيث يقيم الريفيون في السكن الريفي الذي يمكن تمييزه حسب (Cavaillès Henri,1936) من خلال وظيفته، والتي عادة ما تكون زراعية، ولو أنها ذات قيمة ثانوية، إذا ما أضيفت لها وظائفا أخرى. انتشر هذا النوع من المجمعات أيضا في الصين في أوائل الثمانينات بشكل مفاجئ وواسع بعد الإصلاح المتعلق بالتصنيع الريفي مما أحدث تحولا هيكليا سريعا للاقتصاد الريفي في الماضي القريب (Debarshi, 2018)

تطور السكن الريفي كنمط استيطان في المناطق الريفية، سواء المتجمعة أو المبعثرة في الجزائر عبر مختلف المراحل التاريخية وتطورت الأشكال والتصاميم أيضا وارتبطت بالبيئة المحلية وخصائصها فالسكن الريفي في قرى القبائل يختلف عن مثيله في الأوراس (بلاد الشاوية) وأيضا عنه في السهول والصحراء. هذا التطور لا يخص الجزائر فقط فقد شهد معظم دول العالم هذا التغيير الذي تأثر بالبيئة المحلية وكذا السياسات العقارية والعمرانية، كما تماشى هذا التطور مع موجة التحضر التي اجتاحت العالم بدون استثناء.

عرفت الجزائر سياسة السكن الريفي المتجمع منذ الفترة الاستعمارية حيث تعددت الآليات من مصادرة الأراضي في بداية الاحتلال سنة 1830 إلى محاولة قمع الثورة بتجميع السكان في المحتشدات ومراكز إعادة الإسكان بهدف مراقبتهم بموجب مرسوم 29 سبتمبر 1955. أنجزت العديد من القرى في الأوساط الريفية الموجهة للمستوطنين لإسناد النشاط الزراعي الذي أخذ يتطور بشكل مستمر، كان هذا بالموازاة مع سياسة الإصلاح الفلاحي التي شهدتها معظم دول العالم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وقد ارتبطت بتوطين القرى وتحديثها والعمل على تنميتها مما سمح بانتقال العديد من العائلات إلى الحقول، ولا سيما في أوروبا (سويسرا والدنمارك)، بعد الاستقلال اعتمدت الجزائر برنامجا كبيرا لتحديث أوساطها الريفية وتنميتها

اقتصاديا واجتماعيا عرف "بالثورة الزراعية" الذي ترجم التوجه الاشتراكي للدولة الجزائرية والذي كان يدعوا إلى القضاء على الملكية الفردية كونها نظاما غير عادل ولا يحقق رفاهية المجتمع وتعويضها بالملكية الجماعية والعامة وفق شعار "الأرض لمن يخدمها" (حوشين، 2007). اعتبر السكن الريفي إحدى الركائز الكبرى للثورة الزراعية، حيث اعتبر أداة أساسية في تهيئة الإقليم الجزائري (Le COZ, 1979).

توزعت القرى في الجزائر ومنذ الفترة الاستعمارية على كامل التراب الوطني بمختلف مناطقه الطبيعية، إلا أنها تركزت بشكل كبير في مناطق الزراعات الواسعة. استفادت منطقة السرسو بالغرب الجزائري من 15 قرية استعمارية واثني عشر قرية اشتراكية، أنجزت ما بين منتصف السبعينات وبداية الثمانينات، تمتاز هذه المنطقة بإمكانياتها الطبيعية المتعددة وخصوصيتها الاقتصادية كونها منتجة للحبوب بامتياز والأكثر ديناميكية بولاية تيارت.

عززت حركة التحضر التحولات المجالية، الاجتماعية والاقتصادية في العديد من المراكز وسمحت لها بالانتقال من الصنف الريفي إلى الصنف الحضري (Bousmaha,2014)، واكتسبت وظائفا وقوى جديدة متأثرة في ذلك بشكل كبير بالترقية الإدارية والمنشآت الصناعية وتوطن المرافق والخدمات العامة في المناطق المحرومة والأقل تعميرا. نحاول من خلال هذا الورقة البحثية تسليط الضوء على عناصر التحول لهذه المراكز بعد مرور أكثر من نصف قرن على إنشائها، كيف تطورت وما هو دورها الوظيفي وما مدى اندماجها في الشبكة الحضرية للسرسو؟ وما هي علاقتها بالمناطق المحيطة بها؟

اعتمدنا في هذه الدراسة على المسح الميداني للأنسجة العمرانية للمجمعات ذات النشأة الاستعمارية والقرى الاشتراكية لتحديد استخدام الأرض بها وتطوره ومعرفة مستوى تجهيزها، كما قمنا بالتحقيق المباشر وغير المباشر مع 350 عائلة موزعة على 13 مجمعة، حيث مس هذا الاستبيان عدد من الجوانب تتعلق بالتحركات السكانية ودوافعها، بالتغييرات التي مست المساكن وبالمهن الممارسة وتحولاتها، أماكن التردد للتسوق وقضاء الحاجيات المختلفة، وتحقيق أخر مباشر مع المسافرين في محطة النقل البري (حافلات وسيارات الأجرة اتجاهات داخل وخارج الولاية) في كل من تيارت وتيسمسيلت. كما اعتمدنا على جمع المعطيات من المصالح التقنية ومخططات التهيئة والتعمير (المخططات التوجيهية للتهيئة والتعمير، مخططات شغل الأراضي،

مخططات التناسق الحضري ومخططات تهيئة الولاية) لتكملة إحصائيات التعدادات العامة للسكن والسكان.

1. السرسو مقومات طبيعية، اقتصادية، تعمير متعدد الآليات ونمو سكاني متواصل

يقع سهل السرسو في الغرب الجزائري جنوب كتلة الونشريس، يجمع بين إقليم ولايتين (تيارت وتيسمسيلت، الشكل رقم 1). يبلغ متوسط ارتفاعه حوالي 950 مترا، وهو عبارة عن شريط واسع، ممتد بشكل طولي من الشرق إلى الغرب بحوالي 237 كلم وبشكل عرضي بحوالي 37 كلم، تبلغ مساحته 8700 كلم^2 محصور من الشمال بالسفوح الجنوبية للونشريس ومن الجنوب بكتلتين جبليتين بارزتين الناظور وسيدي عابد. يهيكل نهر واصل قسميه الأوسط والشرقي بشكل كبير. يتراوح معدل التساقطات بالمنطقة ما بين 250-500 ملم ويتناقص من الشمال إلى الجنوب، تعتبر هذه الكمية ملائمة لزراعة الحبوب. يتربع السرسو على ثلاث جيوب مائية جوفية هامة ذات مساحات كبيرة (السرسو، واصل ومينا). جزء من المياه السطحية معبأ بسدين على ضفاف نهر واصل (بوقارة، الداحموني). تتنوع التربة بالسرسو بين الغنية والخفيفة والمختلطة. سمحت هذه المقومات بتنمية زراعة الحبوب بشكل كبير حتى أصبح اسم السرسو مرتبطا بها إلا أنه يعتبر كذلك منطقة لتربية الحيوانات وعرف مؤخرا تنويعا في المنتجات الزراعية.

كانت منطقة السرسو قبل وصول الاستعمار الفرنسي قليلة السكان وضعيفة التعمير، يغلب عليها الطابع الريفي الرعوي. اهتمام الاستعمار بزراعة الحبوب فتح الطريق أمام تعمير السرسو بطريقة سريعة إذ قام بتوطين قرى جنينية خاصة بالمعمرين الأوائل، فبدأت تظهر في الأفق ثنائية مجالية، مجال عمراني تقليدي مبعثر متواضع، ومجال استعماري جديد مغاير لثقافة وسوسيولوجية العالم الريفي المحلي (فكار، 2013)، تعمقت هذه الثنائية المجالية وتجدرت في مختلف مناطق السرسو، بدعامة العمليات والإجراءات الاستحواذية على المجال الريفي بنمطين من التعمير، نمط استعماري تمثل في المراكز العسكرية والقرى الاستعمارية ونمط تقليدي تمثل في الدواوير . انتهج المستعمر بعد 1940أليات أخرى لتعمير السرسو كقطاع التحسين الريفي(S.A.R) الذي جسد من خلال انجاز سكنات متجمعة وتوزيع قطع أراضي على الأهالي في منطقتين (عين بوشقيف وتيسمسيلت). تم تجميع الأهالي بعد اشتداد حدة الثورة بعد 1954 في العديد من مراكز المحتشدات (حي بوهن شرق تيارت، حي كاستور شمال شرق

مهدية، حي جنوب قرية كرمان، مركز بني مايدة، مركز عين الصفا، عين دزاريت والسحاري (الناظورة حاليا) (Perrin, 1960).

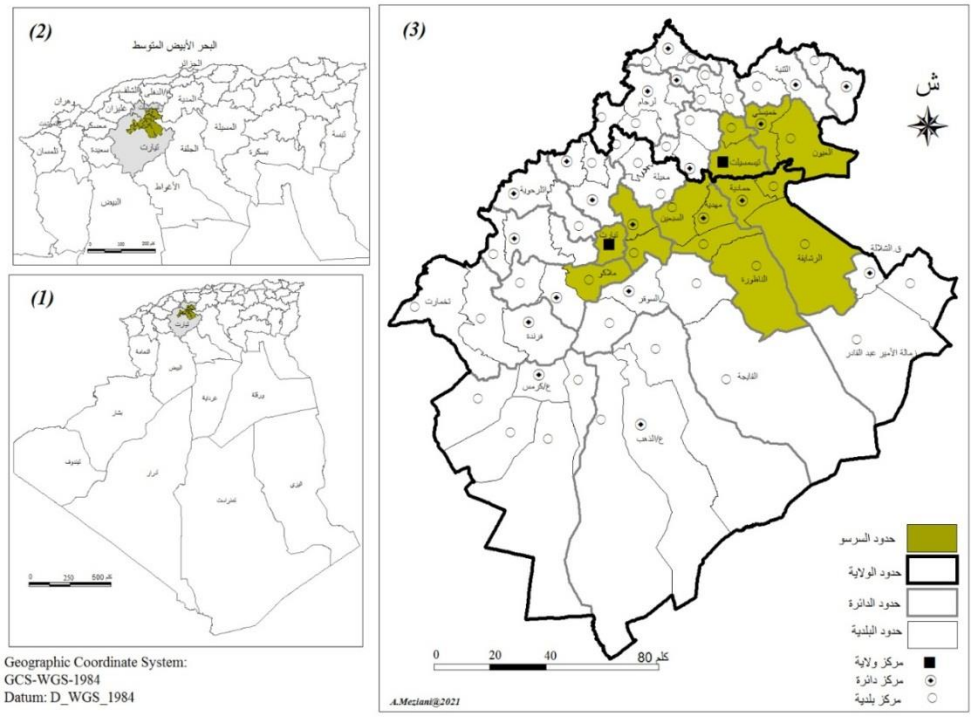

الشكل 1: الموقع الإداري لسهل السرسو

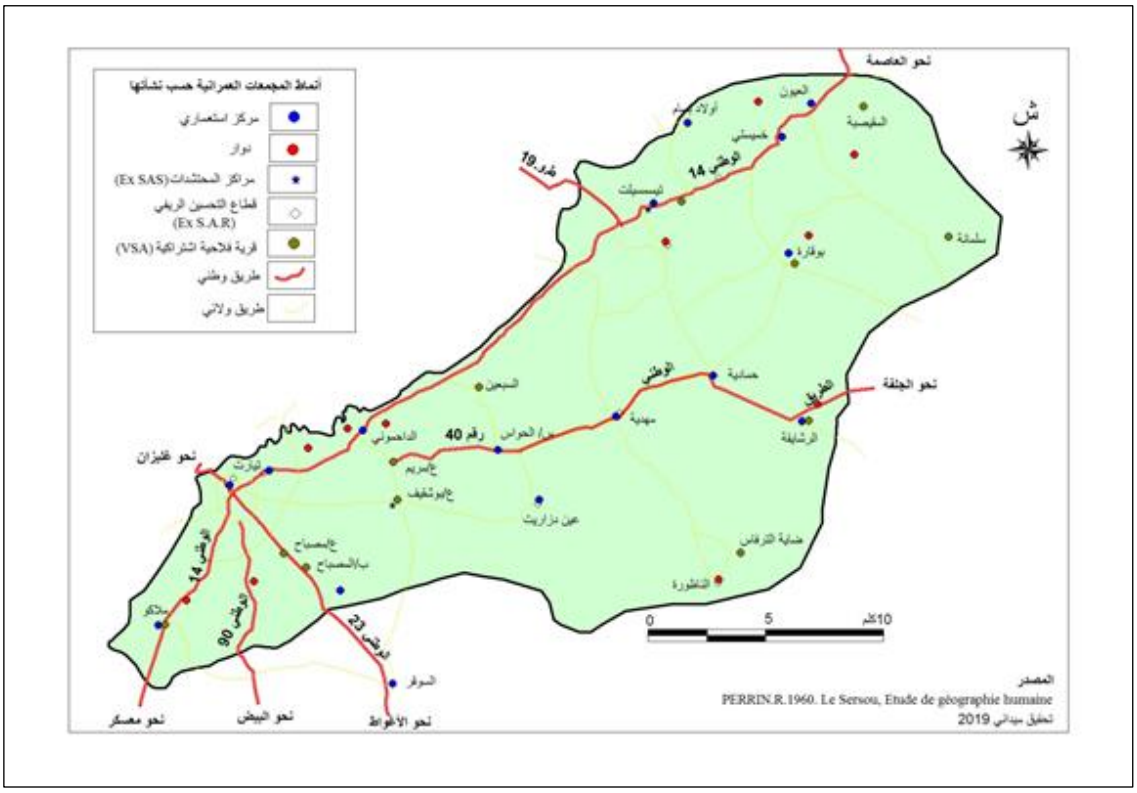

الشكل رقم 2: التعمير في سهل السرسو

امتد تعمير السرسو بشكل محوري خصوصا على طول الطريق الوطني رقم 14، مما أسفر عن إنجاز سلسلة من المراكز المتتابعة، تتباعد فيما بينها بمسافة منتظمة تقدر بـ 15 كلم، فكانت محصلة التعمير في الفترة الاستعمارية إنجاز15 مركزا عمرانيا إضافة إلى الدواوير التي أنشأت في القبائل المحلية وعددها 15أيضا (الشكل رقم 2). إن تواجد هذا الكم الكبير من المراكز العمرانية في وسط مثل السرسو لم يكن بمحض الصدفة، فالتعمير هنا كان إراديا، الغرض منه اقتصادي لاستغلال الأراضي الزراعية الخصبة. استمرت الدولة في نفس الرؤية السياسية السابقة في القطاع الزراعي لدمج العالم الريفي في عملية التنمية الوطنية، عن طريق الثورة الزراعية بهدف إعادة الأرض إلى الفلاحين وتحديث الزراعة على أساس دعامتين: وحدات إنتاجية تمثلت في "الأرض لمن يخدمها" ومراكز إسكان تمثلت في بناء قرى اشتراكية في بداية السبعينات. تم الحصول على الأرض ووسائل الإنتاج وفق منهجين: قضائي وسياسي عن طريق التأميم، اقتصادي من خلال إنشاء تعاونيات خدمية ووضع سياسة الائتمان الزراعي، تعتبر هذه القرى إحدى أهم آليات التعمير في السرسو فقد أنجزت12 قرية في السبعينات وبداية الثمانينات، تركزت خصوصا في الضفة الجنوبية لنهر واصل الذي يهيكل جزء كبير من السرسو حيث المنطقة منبسطة وغنية بالأراضي الفلاحية المنتجة. أعادت القرى الاشتراكية مبدأ الانتشار السكاني على كامل مجال السرسو وأحدثت نوعا من التوازن ولو أن التوطن المحوري بمحاذاة الطرقات غلب على توزيعها.

سمح هذا التعمير المكثف بزيادة السكان، إذا بلغ عددهم أكثر من 91000 نسمة سنة 1957 بمعدل نمو متوسط قدر بـ 1.71 %في الفترة (1884-1957) بالرغم من أن مدينة تيارت سجلت معدلا أكبر من هذا بكثير (3 %). تضاعف عدد سكان السرسو منذ الفترة الاستعمارية إلى يومنا هذا بسبعة مرات، إذ وصل إلى 615138 نسمة سنة 2019. ظل معدل التزايد السكاني مرتفعا من عام 1966 حتى 1998 (3.60%) ثم انخفض في سنة 2008 (1.61%) ليعاود الارتفاع مؤخرا (2.21%) خاصة

بالبلديات الريفية (وأصبح مهيكلا بعدد من المجمعات الكبرى: تيارت كمركز رئيسي (245929 نسمة)، تيسمسيلت في المرتبة الثانية (100697 نسمة)، كلاهما يمثل مقرا للولاية ويؤدي دورا تسييريا، ثم تأتي مجمعات من الدرجة الثانية: مهدية (37222)، خميستي (24580)، ثم المجمعات الصغرى بأحجام متفاوتة.

سجل السرسو أعلى معدل نمو سنوي في الفترة 1977-1987 بلغت حوالي 4.26 %، فهذه الفترة تعتبر فترة استرداد وإعادة هيكلة بالنسبة للجزائر، التي تهدف إلى تحسين ظروف التشغيل، بسيطرة أكبر على جهاز الإنتاج (Kasdallah, 2013).

التطور السكاني في السرسو كان لصالح التجمعات الثانوية التي أصبحت جاذبة ثم المراكز ولاسيما بالبلديات الريفية وشبه حضرية. حافظت المراكز العمرانية الكبرى والمجمعات الصغيرة بالسرسو على ديناميكيتها الديمغرافية ما بين 1987-1998، مثل تيارت (4%) وتيسمسيلت (6.29%)، حمادية (6.96%) والعيون (7%) وبقيت المنطقة محتفظة بسكانها بل وجاذبة أيضا، نظرا للترقية الإدارية التي ساهمت في تركز الأنشطة بمختلف أنواعها (الخدمية، الصناعية والفلاحية). إذ استفاد السرسو في هذه الفترة من استثمارات كبيرة في قطاعات متعددة كتهيئة مناطق صناعية وأخرى للنشاطات استقطبت مركبات صناعية ذات بعد وطني ووحدات إنتاجية متوسطة.

انخفضت وتيرة الزيادة السكانية في الفترة 1998-2008 فلم يسجل معدل النمو السنوي إلا 1.61% في كامل منطقة السرسو، مقارنة بالمعدل الوطني (2.3%) ومعدل ولاية تيارت (1.53%)، رغم ارتفاع معدل الولادات الخام بولاية تيارت (2.47% سنة 1998 إلى2.70% سنة 2008) ويرجع السبب في ذلك إلى الهجرة خارج الولاية حيث سجل رصيد الهجرة[2] قيمة سالبة (-116924 في الفترة 1998- 2008)، كما سجل صافي الهجرة الخارجية قيمة سالبة أيضا (8953 مغادر في الفترة 1998-2008)، بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة التي نتجت عن غلق العديد من المؤسسات الاقتصادية.

ارتفعت وتيرة الزيادة السكانية في الفترة الأخيرة (2008-2019) فقد بلغ معدل النمو السنوي بولاية تيارت قيمة أعلى من سابقتها (2.06%) ويفسر ذلك بالهجرة الوافدة نحو الولاية لأن معدل الولادات في هذه الفترة لم يتغير كثيرا عما كان عليه سابقا (2.78%).

يتركز السكان في السرسو بنسبة كبيرة بمدينة تيارت التي تعتبر أكبر سوق استهلاكي وتجاري بالمنطقة نظرا لحجمها السكاني، والترددات اليومية عليها من البلديات والولايات القريبة منها، كونها مركز ولائي وتاريخي قديم. بالرغم من أن السرسو يغلب عليه الطابع الريفي وذلك بالنظر لعدد مجمعاته الريفية التي بلغت 18 مجمعة عمرانية (58% من مجموع المجمعات) حسب الهيكلة

[2] الفرق بين الزيادة الكلية والزيادة الطبيعية

الحضرية لسنة 2008، إلا أنه شهد معدل تحضر في ارتفاع مستمر، حيث يقيم أغلب سكان السرسو في المجمعات الحضرية وهو ما أثر على نشاطاتهم. انخفض عدد المشتغلين في الفلاحة تدريجيا حسب التعدادات الإحصائية المختلفة فقد بلغت نسبتهم حوالي 15 % سنة 1998 إلا أنه ارتفع تدريجيا في الفترات الموالية فقد حقق حوالي 22 % حسب نتائج التحقيق الميداني سنة 2019.

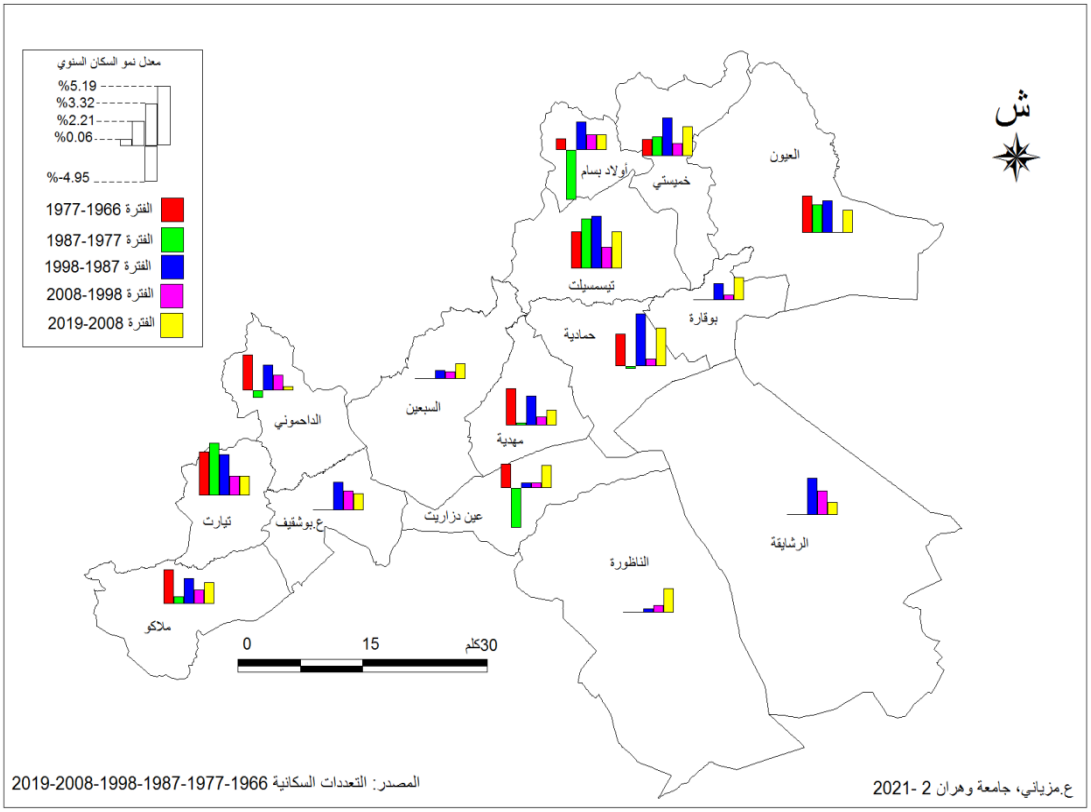

الشكل رقم 3: النمو السكاني في سهل السرسو (1966-2019)

2. محاولة تصنيف المراكز، إعادة تشكيل الشبكة العمرانية في السرسو لصالح التحضر

الشبكة العمرانية في السرسو، تسيطر عليها المجمعات الريفية (أقل من 5000 نسمة)، أعلى قيمة سجلت في 1987 بحوالي 20 مجمعة لينخفض عددها تدريجيا فيما بعد مسجلة 14 مجمعة فقط في تعداد 2008 لكنها تبقى مناطق قليلة السكان لا تضم إلا 6.61 % من مجموع سكان السرسو، بينما يتركز السكان بشدة في المجمعات الحضرية الكبيرة خاصة الصنف الحضري الرفيع (أكثر من 100000 نسمة) بنسبة تفوق 40% المتمثل في مجمعة تيارت، تمثل المدن الصغيرة حوالي خمس مراكز يسكنها حوالي 17 % من سكان السرسو، وهي نقطة احتكاك بين الوسطين

الحضري والريفي، أما المدن المتوسطة فتتمثل في مجمعتي تيسمسيلت ومهدية بنسبة سكان تفوق 22 %.

الجدول رقم 1: تطور التجمعات العمرانية بالسرسو (1966-2008)

التعدادات السكانية	المجمعات الرئيسية		المجمعات الثانوية		عدد المتجمعون	عدد المبعثرون	مجموع السكان	عدد المجمعات	عدد القرى الاستعمارية	عدد القرى الاشتراكية
	العدد	عدد السكان	العدد	عدد السكان						
1966	10	70028	6	5030	75058	52708	127766	16	15	0
1977	10	106281	11	16076	122357	54984	177341	21	15	7
1987	15	191257	12	18759	210016	66325	276341	27	15	10
1998	15	314683	13	35460	350143	60260	410403	28	15	12
2008	15	378081	19	44667	422748	59422	482170	34	15	12

المصدر: الديوان الوطني للإحصاء

وعليه فيمكن تفسير البنية الهرمية لشبكة المراكز العمرانية بالسرسو بوجود قطبية أحادية على مستوى الرأس (تيارت) واتساع القاعدة لمراكز الفئة القاعدية، فمدينة تيارت تلعب دور المركزية ليس على مستوى السرسو فقط بل على مستوى المجالات المحيطة فهي بحكم وظيفتها الإدارية كعاصمة ولاية تلعب دور في تنظيم وتسيير المجال وبخاصة احتكامها على قاعدة قوية من التجهيزات بمختلف مستوياتها، إضافة إلى مدينة تيسمسيلت كعاصمة ولاية أيضا تلعب دورا منظما لمجالها.

أحد مؤشرات النمو في السرسو هو **نمو المجمعات الصغيرة**، وبالرغم من أننا سجلنا أعلى زيادة سكانية بمراكز الولايات (تيارت وتيسمسيلت) وبقيم عالية أيضا في البلديات النصف حضرية والشبه ريفية، فقد انتقلت الديناميكية الديمغرافية من مراكز البلديات الحضرية الكبيرة إلى المجمعات الصغيرة وهي إحدى خصوصيات السرسو فهو منطقة محتفظة بسكانها بل وجاذبة أيضا نظرا لنشاطاته الفلاحية والصناعية من جهة وتركيز التنمية به من جهة أخرى.

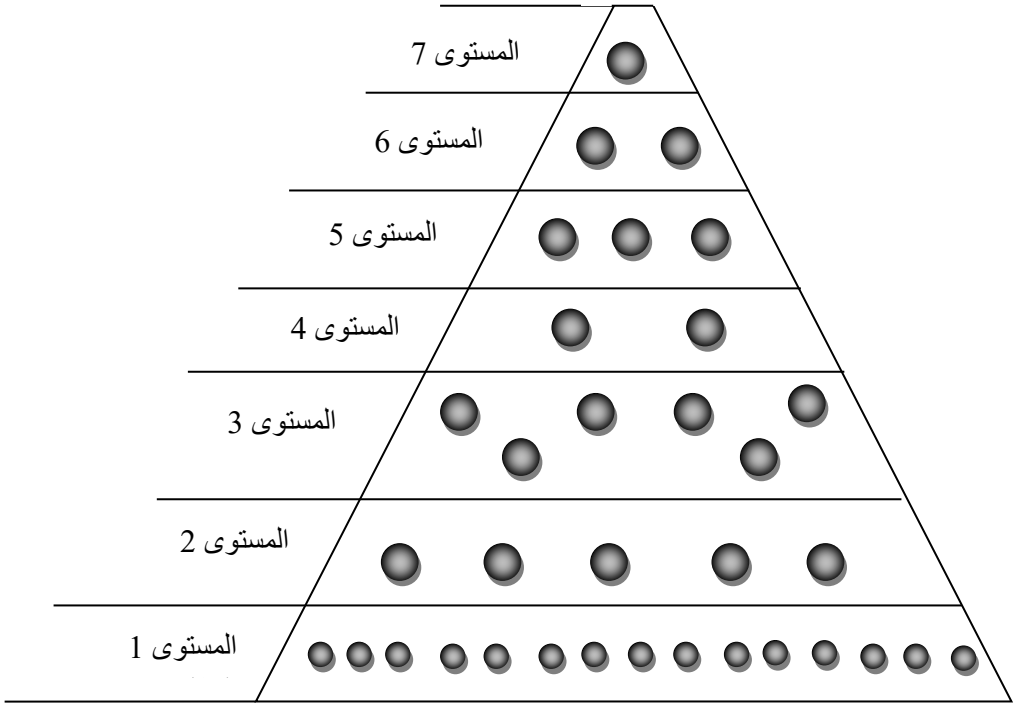

الشكل رقم 4: التسلسل الهرمي للمجمعات العمرانية في السرسو

في محاولة تصنيف المراكز العمرانية في السرسو، اعتمدنا على المعايير التي استعملها (Hadeid, 2006) في دراسته للمراكز الريفية في الهضاب العليا الوهرانية، بهدف تصنيفها في شكل هرمي من خلال تحديد الوظائف التي تقدمها هذه المجمعات. تتمثل هذه المعاير في: عدد السكان والمتاجر والمرافق العمومية وكذلك الرتبة الإدارية لكل تجمع.

تتوزع مجمعات سهل السرسو على شكل هرم بسبع مستويات (الشكل رقم 4)، تأتي مدينة تيارت في القمة كمدينة كبيرة، وقاعدة كبيرة من المجمعات الريفية (15 قرية) مدينتين متوسطتين (تيسمسيلت ومهدية)، مجموعة من المدن الصغيرة (الشكل رقم 5)، باستثناء مجمعة كرمان رغم رتبتها في المستوى الثالث إلا أنها تفتقر للوظيفة الإدارية كونها مجمعة ثانوية لبلدية تيارت وتعتبر منطقة تمدد حضري بالنسبة للمدينة الكبيرة (تيارت).

المراكز الريفية الصغيرة في المستوى الأول بقاعدة الهرم وعددها 15، تشكل التجمعات الثانوية، تضم أقل من عشر محلات تجارية وشبه انعدام للتجهيزات ما عدا التعليمية التي تقتصر على التعليم الابتدائي في معظمها إضافة إلى قاعة علاج ومسجد وفي بعض الأحيان حمام، نظرا

لأن معظم هذه المراكز هي قرى اشتراكية (VSA) بنيت وفق شبكة تجهيزات محددة مسبقا (عين مصباح، بيبان المصباح، عين مريم، المقيصبة وسلمانة) ومنها مزارع فلاحية (DAS) (سي حميد، عين قاسمة، السانيا وتاسلمت) التي تطورت ديمغرافيا ومجاليا بفضل موقعها على محاور الطرقات وبرامج السكن الريفي التي سمحت لها بالمرور لهذا الصنف.

المستوى الثاني تمثله أيضا مجموعة من القرى الاشتراكية (السبعين، عين الكرمة وضاية الترفاس) إضافة إلى مركزين ذوا نشأة استعمارية (سي الحواس وبني مايدة). باستثناء السبعين وضاية الترفاس اللتان تمثلان مركزي بلدية، تصنف بقية التجمعات في صنف المجمعات الثانوية، تأتي سي الحواس في الأعلى نظرا لحجمها السكاني (4599 نسمة) وعدد المتاجر بها تفوق 100 (130 محلا تجاريا). وهي أول مركز أنشأ بالسرسو في الفترة الاستعمارية، وقوع هذه المجمعة على الطريق الوطني رقم 40 أعطاها ديناميكية خاصة سرعت من توسعها واستقبالها مشاريع سكنية حضرية، شهدت معدلات نمو مرتفعة تفوق 4% في الفترات 1977-1987، 1987-1998 إلا أن المعدل انخفض خلال الفترة 1998-2008. عرفت هذه المجمعات ديناميكية ريفية بفضل سياسة التنمية الزراعية.

المجمعات العمرانية بالمستوى 3-4-5 وعددها 11 يمكن اعتبارها مدنا صغيرة بالنظر لعدد السكان المحصور بين 5000-20000 نسمة، عدد المتاجر بها مهم (130-1000 محل) ويتمركز بها أكثر من 20 تجهيز كحد أدنى. منها 10 مجمعات هي مقر بلديات، 3 منها مقر دائرة، رتبة سمحت لها بالحصول تلقائيًا على سلسلة من التجهيزات من خلال شبكة التجهيزات أو البرامج القطاعية، باستثناء كارمان التي تقع المستوى الثالث إلا أنها مجمعة ثانوية لبلدية تيارت.

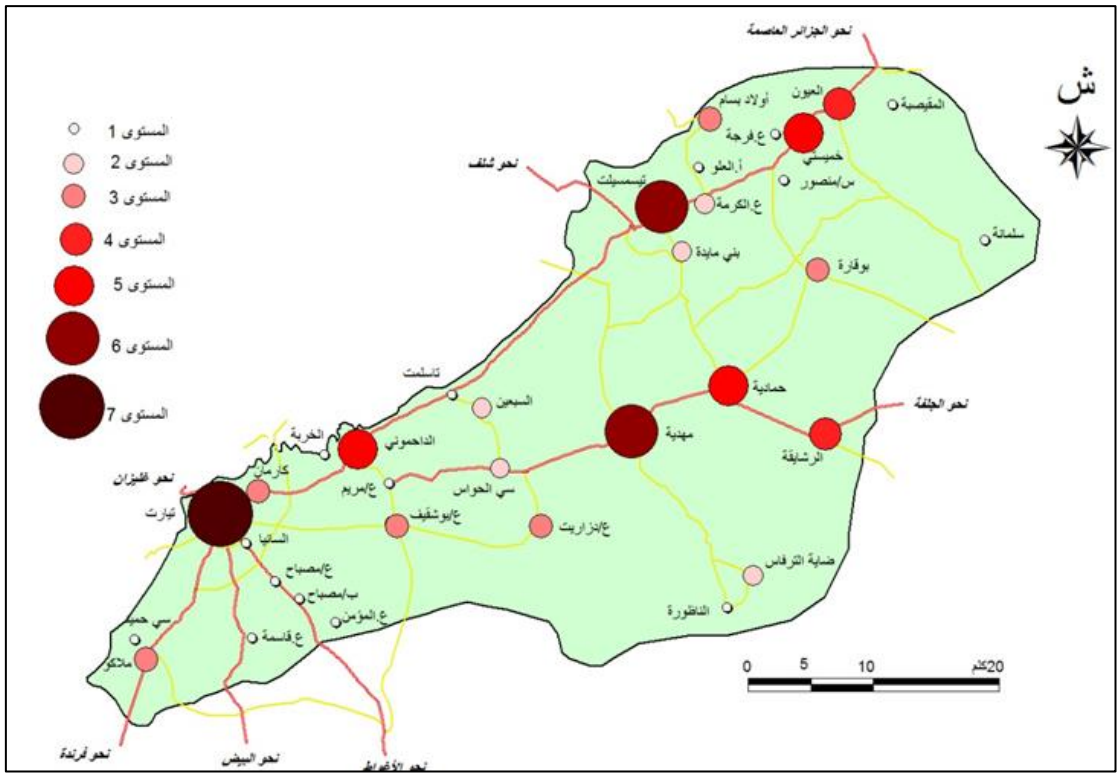

الشكل رقم 5: توزيع المجمعات حسب التسلسل الهرمي الوظيفي في السرسو

تلعب الداحموني وخميستي وأيضا حمادية دور مدنا وسيطة رغم أن عدد سكان كل منها يقل عن 20000 نسمة، إلا أنها مدن ربط بين المدن الكبيرة والمتوسطة وعالم الريف، تتميز تجهيزاتها بمستوى قريب من الأعلى (ثانوية، عيادة طبية متعددة الخدمات، مكتب بريد، مركب رياضي، مكتبة، بنك ومركز تكوين مهني في بعض الحالات مثل الداحموني، خميستي وأولاد بسام، مركز التكوين لشركة SNVI المؤسسة الوطنية للسيارات الصناعية بعين بوشقيف).

أما بالنسبة للتجهيزات، فهي تتميز بمستواها القريب من المستوى الأعلى (مدرسة ثانوية، مستوصف، مسبح، بنك، مكتب بريد، مستشفى، فندق ومركز تدريب مهني في بعض الحالات)، تطور الهيكل التجاري في هذه المدن الصغيرة وبالتالي تطور التبادلات داخل وخارج السرسو وخاصة مع الجلفة والمدية عن طريق مجموعة من الأسواق المهمة بها ولاسيما سوق حمادية والرشايقة، ومشروع سوق الجملة للخضر والفواكه بالرشايقة (في طور أشغال التهيئة).

مكانيا تتركز هذه المجمعات داخل حوض نهر واصل. يمكن القول أن توزيع شبكة المدن الصغيرة خضعت للعوامل الطبيعية والجغرافية (الأراضي الخصبة، توفر المياه، العقار، فهذه

المراكز تتوسط المجال الزراعي والرعوي، مما يعطي فكرة عن أهمية العامل الاقتصادي في هيكلة شبكة المراكز العمرانية الصغيرة في السرسو.

المستوى السادس والسابع، بثلاث مجمعات، تأتي تيارت على رأس الشبكة كمدينة كبيرة قيادية كونها مركز ولائي قديم، في المستوى السادس نجد مركز ولائي جديد متمثل في تيسمسيلت تمثل مدينة متوسطة عدد سكانها يفوق 66084 نسمة في طور الانتقال إلى مصاف المدن الكبرى. أما مهدية فتمثل مدينة وسيطة (يفوق عدد سكانها 20000 نسمة) وهي مركز استعماري قديم النشأة ومقر دائرة منذ 1991، حجم سكاني مهم يفوق 31396 نسمة، مهدية مركز خدمة مهم في قلب السرسو نظرا لإمكانياتها الزراعية التي جعلتها تستفيد من صناعة غذائية لها وزن كبير في ولاية تيارت من خلال مطاحنها الكبرى ومركب العجائن، إضافة إلى تطور هيكلها التجاري وتنوعه إضافة إلى السوق الأسبوعية وسوق السيارات، والتجهيزات ذات المستوى العالي ولاسيما المستشفى وبعض المراكز المتخصصة في الإعاقة الذهنية والحركية لدى الأطفال وهو المركز الوحيد على مستوى الولاية.

3. دور المدن الصغيرة في تحضر السرسو

ارتفعت وتيرة التحضر بسرعة في المنطقة، بسبب النمو السكاني في المراكز الحضرية الموجودة من قبل (تيارت، تيسمسيلت ومهدية، خميستي والداحموني) من جهة ودمج المراكز الجديدة في فئة "الحضر" من جهة أخرى، وهكذا انتقل معدل التحضر من 48% عام 1966 إلى 78 % عام 2008. لعبت الترقية الإدارية دورا مفصليا بالنسبة للمراكز العمرانية (الاستعمارية والاشتراكية) في السرسو، حيث استفادت تيسمسيلت من الترقية الإدارية لصنف الولايات سنة 1984، واستفادت أيضا خمس قرى (إشتراكية) تابعة إداريا لولاية تيارت من الترقية إلى صنف البلديات في نفس السنة وهي عين بوشقيف، السبعين، الناظورة، الرشايقة وبوقارة، فانتقل عدد البلديات من 10 سنة 1974 إلى 15 بلدية سنة 1984، كما عمل التعديل الإداري سنة 1991، على استحداث دوائر جديدة فتغيرت الخريطة الإدارية واستحدثت إضافة إلى دائرة تيارت كل من دائرة مهدية، حمادية والداحموني بإقليم ولاية تيارت بينما أصبحت ملاكو تابعة لدائرة مدروسة (خارج حدود السرسو) إضافة إلى دائرة تيسمسيلت وخميستي بإقليم ولاية تيسمسيلت. مما جعل هذه المراكز الإدارية الجديدة تستفيد من عدد من التجهيزات الجديدة وتتكفل بتسيير مجالات إقليمية وتساهم في إعادة تشكيل الأداء الوظيفي

للشبكة العمرانية في السرسو، مما أسفر عن تحولات في بنيتها العمرانية والوظيفية، وبالتالي مزاحمة المراكز العمرانية القديمة وإعادة صياغة مجالات نفوذها.

أدت الترقية الإدارية لبعض مجمعات السرسو إلى مرتبة عاصمة الولاية (تيسمسيلت) والدائرة (حمادية، الداحموني وخميستي) إلى زعزعة سير العمل والتنظيم السابق لهذه المساحة. إن إنشاء سلسلة من المرافق العامة رفيعة المستوى وتطوير الأنشطة التجارية في مدن السرسو مكنها من تعزيز الإطار الحضري وتطوير شبكات التبادل المحلية لتشكيل مجموعات فرعية (مجمعات حضرية وظيفية). هذا التنظيم المكاني الجديد، على الرغم من أنه مؤطر من خلال الإرادة السياسية للدولة التي تهدف إلى تقويم الإطار الحضري، إلا انه أيضا جزء من التاريخ الحضري للمنطقة الذي يتميز بالاستمرارية التي تولد تغيرات سريعة في الاقتصاد الحضري خاصة خلال الأربعة عقود الأخيرة (Yousfi,2012)..

4. السكن محرك لتحولات حديثة: مجالية، اجتماعية واقتصادية بسمات حضرية

شهد المجال الريفي بالسرسو على مر السنوات تحولات مجالية نتيجة التوسعات العمرانية التي شهدتها القرى سواء الاستعمارية أو الاشتراكية من خلال برامج التنمية والبرامج السكنية التي استفادت منها. كان للترقية الإدارية والنمو الديمغرافي الذي عرفته هذه المجمعات الأثر الكبير في تحولاتها المجالية بسبب الحاجة للسكن والتجهيزات من جهة وبسبب تأثر بنيتها الحياتية والاجتماعية من جهة أخرى.

ظهر دور الطريق جليا في نمو مجمعات السرسو بمختلف أصنافها ولاسيما تلك التي تواجدت على المحاور الكبرى (الطريقين الوطنيين 14 و40)، حيث نمت بشكل أسرع من مثيلتها البعيدة وامتدت التوسعات المجالية الحديثة باتجاه الطرقات، منها ما حافظت على شكلها العمراني الأولي مثل الداحموني ذات الخطة الشطرنجية، توسعت باتجاه الطريقين الوطنيين 14و40، حمادية التي تخترقها مجموعة طرقات توسعت على محاورها (الوطني 40، الولائيين 16 و14) ومنها ما تغير شكلها العمراني الأولي خاصة تلك التي صممت بشكل افتخاري مثل الونشريس البيضاء التي توسعت باتجاه المركز القديم مما أدى إلى التحام النسيجين وفقدان المعالم الحضرية الجميلة.

أخذت بعض المجمعات مثل ملاكو، عين دزاريت، الرشايقة، عين بوشقيف، سلمانة والمقيصبة في التمدد الطولي منتجة تعميرا خطيا على طول المحاور الطرقية نظرا لقيمتها العقارية الكبيرة ولتوطين التجارة والخدمات المرتبطة بحركة المرور (الشكل رقم 6).

تمت هذه التوسعات على فترات وبآليات مختلفة كان السكن هو محركها الرئيسي، تنوعت الصيغ السكنية وتطور مفهومها المجالي خاصة السكن الجماعي، فلم تعد تقتصر على المجمعات الحضرية الكبيرة والمتوسطة بل استفادت المدن الصغيرة وحتى المجمعات الريفية منها، ولا سيما السكن العمومي الإيجاري، ثم برنامج التجزئة الحضرية والريفية على حد سواء.

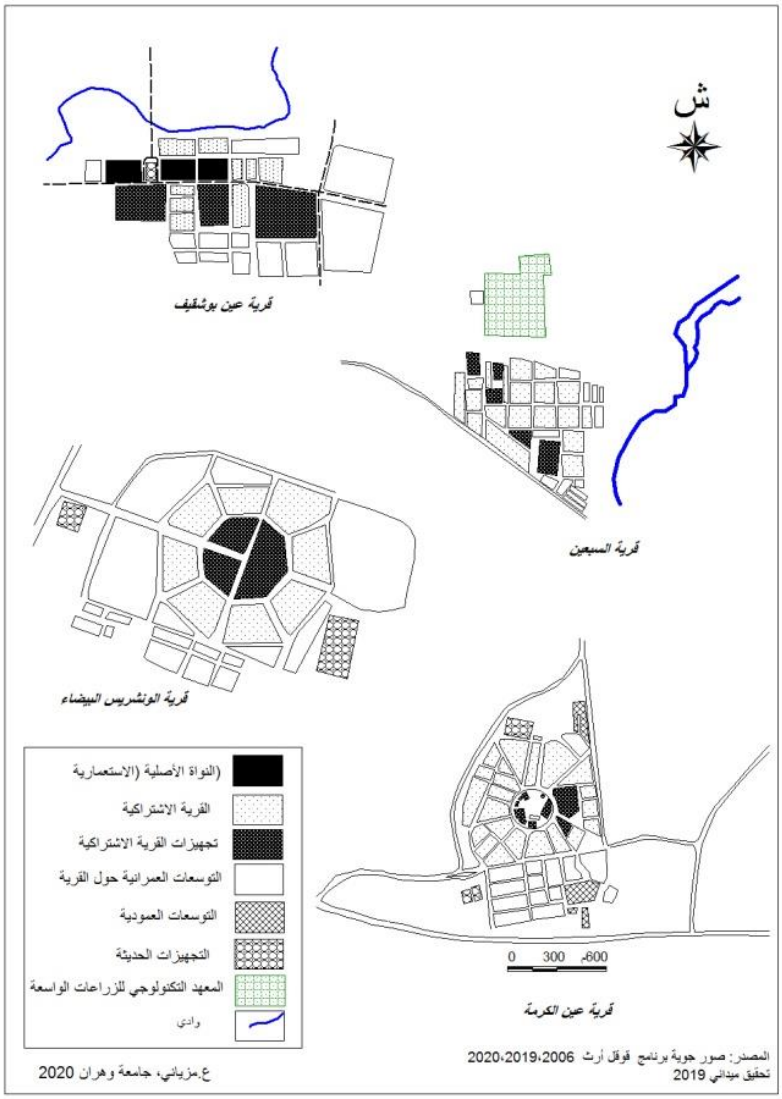

الشكل رقم 6: التحولات المجالية في القرى الاشتراكية

استفادت المدن الصغيرة في سهل السرسو من السكن الحضري الجماعي بنسبة تقارب 30 % (5416 وحدة سكنية في الخماسي 2015-2020) من مجموع البرنامج في كل المنطقة وان كانت النسبة ضعيفة نوعا ما راجع لارتفاع حصة مدينة تيارت من المشاريع السكنية بمختلف

الصيغ، أما السكن الفردي في إطار التجزئة الحضرية فقد برمجت 83 % من حصة السرسو في مدنها الصغيرة خاصة (الرشايقة وعين دزاريت) بينما الحصة المتبقية استفادت منها المجمعة الريفية عين مصباح.

التوزيع المجالي للمدن الصغيرة تعكسه بعض المحاور الطرقية المهمة ولاسيما المحور تيارت، الجلفة (الوطني 40) وتيارت، عين الدفلى (الوطني 14) وأخرى ثانوية تتمثل في محور تيارت، الأغواط (الوطني رقم 23) حيث أغلب المدن الصغيرة وتلك المجمعات التي ارتقت إداريا تقع على هذه المحاور (الشكل رقم 5).

شكلت بعض المدن الصغيرة القريبة من مدينة تيارت مجمعات توابع باستقبالها مشاريع السكن والتجهيزات الخاصة بها، تمثلت في برامج التجديد الحضري وتوفير السكن الوظيفي لعمال القطاع الصناعي. استقبلت عين بوشقيف مشروع إعادة إسكان حي زعرورة الفوضوي الذي أزيل نهائيا وتم ترحيل سكانه على أراضيها (حي 150، 204 مسكن)، ومشروع أخر استقبل سكان من مواقع مختلفة من السرسو، إلا أن تيارت لوحدها ساهمت بحوالي 11.30 % من الأسر المرحلة لهذا الموقع، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد استقبلت عين بوشقيف سابقا حي سكني لعمال شركة السباكة. تحويل التعمير سمح بالتحركات السكنية وبالتالي أدى إلى تغيير التركيبة الاجتماعية في عين بوشقيف وسمح بجذب ممارسات اجتماعية وسلوكيات جديدة للوسط شبه حضري. كما استقبلت الداحموني أيضا مشاريع إعادة الإسكان من مختلف مواقع من السرسو، إلا أن سكان بلدية تيارت لوحدهم يمثلون 15.01%[3] من السكان المرحلين. هذا التمدد الحضري لمجمعة تيارت على كل من عين بوشقيف والداحموني جعلاهما تستفيدان من نمط تعمير جديد وسكان حضريون في الوسط شبه حضري، فتحولتا من النمط الفردي الأفقي إلى النمط الجماعي العمودي وتغيرت التركيبة المهنية والاجتماعية للسكان التي أصبحت تميل نحو القطاع الثالث (أظهر التحقيق الميداني هيمنة أنشطة القطاع الثالث على المشتغلين (65%)، أما القطاع الزراعي بالرغم أنه ارتفع عما كان عنه في فترة التسعينات إلا أن نسبته لم تتجاوز الربع (22.75%) والقطاع الصناعي سجل 15%. يبدو التحول في الأنشطة الاقتصادية لصالح

[3] 2018 "إعادة الإسكان في مجمعتي الداحموني وعين بوشقيف لولاية تيارت" مذكرة ماستر في الجغرافيا وتهيئة الإقليم جامعة وهران 2 ص 87

التجارة والخدمات واضحا جدا في كل من عين مصباح (83.72%) وعين بوشقيف (66.10%) ويفسر ذلك بقربهما من مجمعة تيارت، وبالتالي أنتج منطقة تحضر بالنسبة لتيارت وهو ما نشط التحركات اليومية في المنطقة.

استقبلت قرية عين مصباح تجهيزات عمومية تمثلت في مركز إعادة التربية ومدرسة الشرطة بالوعاء العقاري المسترجع من عملية إزالة الحي الفوضوي، كما استقبلت القرية أيضا مشروع تجزئة سكنية (218 قطعة ما يمثل 16.65% من حصة السرسو)،استفادت منها بلدية تيارت في إطار برنامج ولايات الهضاب العليا والجنوب (المخطط الرباعي 2019-2022) تم غرزها بالقرية بالرغم من أن بلدية تيارت لا تملك حق الاستفادة من هذا النوع من التجزئة حسب التعليمة الوزارية المشتركة رقم 01 الصادرة بتاريخ 2020/09/30[4] لأنها ليست من البلديات الخاضعة لصندوق الهضاب العليا[5]. سجلنا من خلال التحقيق الميداني أن ما يفوق 54% من الأسر التي غيرت إقامتها باتجاه قرية عين مصباح جاءت من مجمعة تيارت. دخلت المدن الصغيرة والوسيطة مرحلة جديدة من التعمير حيث انتقلت من النسق التقليدي المعتمد في نشأتها إلى نسق حضري جديد متعدد الأنماط ما بين الأفقي والعمودي الشبيه بما هو موجود في المراكز العمرانية الكبرى.

شكلت المدن الصغيرة ملاذا لفئات سكانية من المراكز العمرانية الكبرى من خلال تأجير شقق السكنات الجماعية بأسعار منخفضة من طرف أسر شابة من داخل وخارج السرسو (7.46%)، ترغب في الانفصال عن الأسرة الكبيرة من جهة والاستفادة من أنشطة المنطقة من جهة أخرى وهو ما يعبر عن تحول المجتمع من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية.

[4]تحدد شروط وكيفيات إنشاء التجزيئات الاجتماعية في الوسط الحضري ومنح إعانة مالية للبناء في ولايات الجنوب والهضاب العليا تلغي التعليمة الوزارية المشتركة رقم 1 المؤرخة في 07/07/2014 المتعلقة بتطوير العرض العقاري العمومي في ولايات الجنوب والهضاب العليا وتحل محلها

[5] تحدد المادة 5 من المرسوم التنفيذي رقم 06-486 المؤرخ في 23 ديسمبر 2006 كيفيات تسيير حساب التخصيص الخاص رقم 302-116الذي عنوانه " الصندوق الخاص بالتنمية الاقتصادية للهضاب العليا "الجريدة الرسمية العدد 84)

5. التوطن الصناعي، دور وظيفي جديد للمدن الصغرى وآلية لتحضر السرسو أنتجت شبكة كثيفة من التبادلات

تأكد البعد الزراعي للسرسو أثناء الفترة الاستعمارية وتأسست عليه صناعة غذائية من خلال المطاحن المنتشرة به واستمر الوضع بنفس المنحى إلى منتصف السبعينات إذ لم تكن تشغل هذه الوحدات مجتمعة سوى 835 عامل[6]، أين عرف سياسة جديدة في التصنيع لا تتماشى مع طبيعته الفلاحية، حيث أدرجت فيه صناعات تعدينية ثقيلة وميكانيكية (مركب النسيج SONITEXمركب السباكة، مركب إنتاج الأسلاك (SNS)، مركب العربات الصناعية، مركب نفطال لتعبئة قارورات الغاز، مركب الحديد، مركب مهدية للصناعات الغذائية) وهيأت لها منطقتين صناعيتين بتيارت وأخرى بعين بوشقيف بالإضافة إلى عدد أخر من مناطق النشاط (6000 عامل[7])، وبذلك أصبحت تيارت تحتل المرتبة الثانية كقطب صناعي في الغرب الجزائري بعد وهران بالتساوي مع تلمسان وسيدي بلعباس.

إن توطين مثل هذه الصناعات الثقيلة في منطقة زراعية بامتياز أثر بشكل سلبي على النشاط الزراعي حيث أحدث تنافسا على العقار، شجع الهجرة الريفية واستقطب العمالة الزراعية فارتفع معدل الشغل في الصناعة من 6.9 % عام 1985 إلى 9.8% عام 1988 (Hachelef,1988)، كما أعاد تشكيل الشبكة العمرانية في السرسو لصالح التحضر. شهدت فترة التسعينات تراجعا كبيرا للنشاط الصناعي وغلق العديد من المؤسسات وتسريح عمالها أو تقليص عددهم فارتفع معدل البطالة بولاية تيارت حسب الديوان الوطني للإحصائيات من 23% سنة 1987 إلى 28.37%سنة 1998، الأمر الذي كانت له ارتدادات سلبية على المستوى الاقتصادي والاجتماعي للمنطقة.

[6]مخطط تهيئة الولاية ص 195

[7]ANDI (Tiaret)

جدول رقم2: التوطن الصناعي الحالي بالسرسو

المنطقة	المساحة بالهكتار	عدد القطع
المنطقة الصناعية زعرورة (القديمة)	318	443
المنطقة الصناعية زعرورة (الجديدة)	328	292
المنطقة الصناعية عين بوشقيف (الجديدة)	319	334
منطقة النشاطات مهدية	10	68
منطقة النشاطات سيدي منصور (خميستي)	12	66
منطقة النشاطات سلمانة (العيون)	3.93	-
منطقة النشاطات تيسمسيلت	21.1	153
مجمع SNVI سنفي (سوناكوم سابقا)	299	-
منطقة النشاطات القديمة لتيارت	حظائر وشركات مغلقة	استرجاع العقار واستغلاله في إنشاء مشروع سكني

المصدر: شركة تسيير المناطق الصناعية ومناطق النشاط بولاية تيارت، مديرية الصناعة لولاية تيسمسيلت (2019)

بعد تحسن مداخيل النفط في بداية 2000 عرف السرسو إعادة بعث النشاط الصناعي، نظرا لوجود قاعدة صناعية مهمة (الجدول رقم 2)، توسعت هذه الأخيرة بميلاد مناطق جديدة(صناعية بكل من تيارت وعين بوشقيف وأخرى للنشاط بكل من سلمانة وسيدي منصور) وذلك بالتوجه نحو تركيب السيارات منها الموجهة للسوق الوطنية بكل من تيارت وخميستي بالشراكة مع شركات دولية كبرى (مرسيدس الألمانية وهيونداي الكورية) منها ما هو موجه للقطاع العسكري بعين بوشقيف ،إضافة إلى تخصيص أوعية عقارية بهذه المناطق الصناعية للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة (الشكل رقم 7) التي تشغل أقل أو أكثر من 50 عاملا(يتوطن بالسرسو 7.70% من مجموع المؤسسات بولاية تيارت).

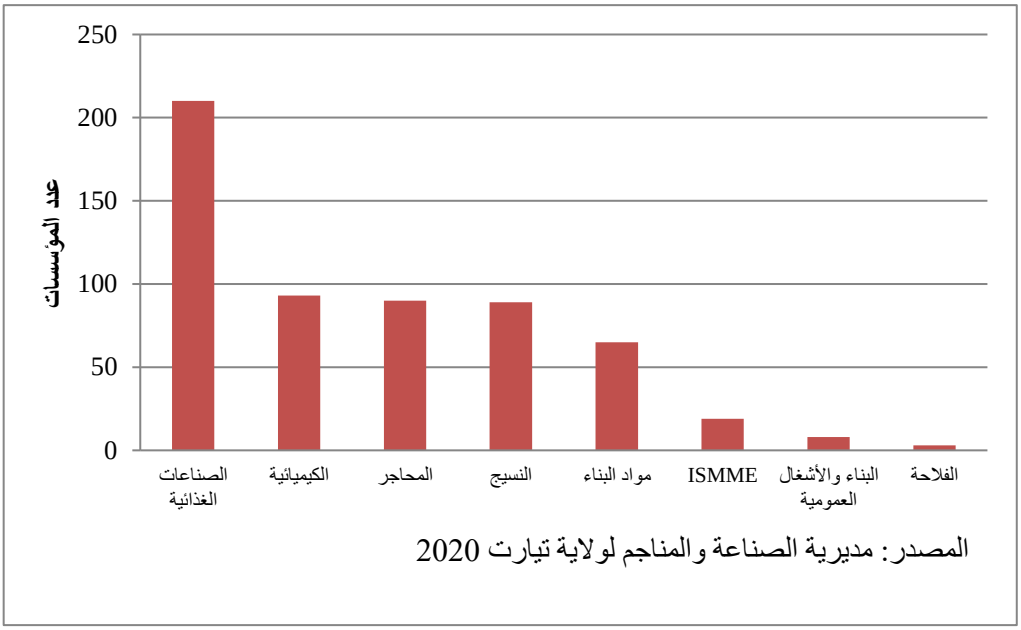

الشكل رقم 7: المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في السرسو

تأثر التوطن الصناعي الجديد بالسرسو بديناميكيته الزراعية التي شجعت الاستثمار في الصناعة الغذائية(36.40% من مجموع المؤسسات الصغيرة والمتوسطة خارج قطاع التجارة والخدمات) ولا سيما شعبة الحليب في كل من تيارت وخميستي، كما تأثرت القرى الاشتراكية أيضا بهذا التوطن، فقد أنشأت معصرة للزيتون في الرشايقة وأخرى في سلمانة التي استفادت من إنشاء مطحنة أيضا، إنتاج اللحوم البيضاء والحمراء من خلال الحظائر التي استفاد منها الشباب في إطار برامج التنمية الريفية، بلغت العمالة الصناعية بولاية تيارت 9399 عاملا[8] في نهاية عام 2020، وهو ما قد يفسر انخفاض معدل البطالة بالولاية إلى 9.80% سنة 2020[9].

[8] مديرية الصناعة والمناجم لولاية تيارت 2021

[9] مديرية البرمجة وتسيير الميزانية لولاية تيارت

الجدول رقم 2: التوطن الصناعي بالمدن الصغيرة

الرقم	المؤسسة	الطبيعة القانونية	طبيعة الإنتاج	عدد العمال	موقع النشاط
1	SAFAV MB SPA Tiaret	عمومي	تركيب سيارات مرسيدس بنز - SPRINTER و G.	500	المنطقة الصناعية عين بوشقيف
	EPE CIT SPA (Carrosseries industrielles		العربات الصناعية	467	
2	Sarl tréfilerie Sersou	خاص	تحويل الصلب الخفيف، أسلاك مجلفنة، أسلاك ربط، مسامير	37	منطقة النشاطات محدية
3	EURL les Grands Moulins de Mahdia		منتجات الدقيق: الفرينة والسميد	74	
4	SPA Moulins de Mahdia		مطحنة: فرينة وسميد	173	
6	Sarl Semence Sersou		تعبئة البذور: قمح صلب وبقول جافة	61	
8	Sarl Ginex		إنتاج الورق الصناعي	5	
9	Sarl textile Sersou		الحبال المظفرة	24	
	SARL MAXIMUM SERVICES		تصنيع مواد التنظيف	35	
7	Sarl Pharmaghreb		إنتاج المواد الصيدلانية	95	مجمعة ملاكو
5	Eurl minotries El kaid Hamadia		إنتاج الدقيق الأبيض والنخالة	85	مجمعة حمادية
	SARL BOILAIT		إنتاج الحليب	23	منطقة النشاطات سيدي منصور، خميستي
	TAKLIT		إنتاج الحليب	88	
	Minoterie el kaïd Selmana		إنتاج الدقيق الأبيض (الفرينة)	77	منطقة النشاطات سلمانة، العيون
	قارة الساسي		معصرة (استخلاص زيت الزيتون)	8	

المصدر: مديرية الصناعة والمناجم لولايتي تيارت وتيسمسيلت (2021)

توطن الصناعة بالمدن الصغيرة بالسرسو أعطى لها نفسا جديدا من خلال الوظائف الحضرية الجديدة في القطاعين العام والخاص، تعمل على هيكلة مناطق الجذب وتحديد أولوياتها. ونتيجة لذلك، فإن الدور الجديد للمدينة الصغيرة في السرسو ينطوي حول الانتقال الوظيفي

الناتج عن توطن الصناعة في الأوساط الزراعية، فقد اكتسبت بعض المدن الصغيرة وظائفا جديدة غير تلك التي أوجدت لأجلها (عين بوشقيف، خميستي ومهدية). تستقطب المنطقة الصناعية الجديدة في عين بوشقيف المستثمرين من داخل الولاية وخاصة من بلدية تيارت وخارج الولاية (مستثمرين من ولاية الجزائر)، لإنجاز مشاريع مختلفة حسب الجدول رقم 3 وهو ما يجعل المنطقة متعددة الأبعاد (محلي، إقليمي ووطني).

الجدول رقم 3: طلبات الاستثمار الصناعي المقبولة في عين بوشقيف

الرقم	المشروع	المساحة (م2)	الأصل الجغرافي للمستثمر
1	معالجة وإنتاج الصلب	59495,00	الرويبة
2	معمل تصنيع المحولات الكهربائية	35050,00	تيارت
3	مصنع تجميع السيارات (CKD)	51708,00	تيارت
4	معمل تصنيع النوافذ والأسقف البلاستيكية	37821,00	تيارت
5	مصنع الجبس	78304,00	تيارت
6	معمل للصناعات المعدنية وتصنيع طفايات حريق وزجاجات عيار 13 كغ و35P	39655,00	تيارت
7	مخابز -معجنات -بسكويت صناعي	28222,00	الجزائر العاصمة

المصدر: مديرية الصناعة والمناجم لولاية تيارت، 2021

عرفت الوظيفة الأصلية في السرسو وهي الزراعة نمطا جديدا في السنوات الأخيرة مبني على السقي في إطار قانون الحيازة على الملكية العقارية عن طريق الاستصلاح سنة 1983، خص به جنوب السرسو، الرشايقة بمساحة 2313.5 هكتار (Otmane,2003)أهل المنطقة لأن تكون قطبا زراعيا له بعدا وطنيا في إنتاج بعض الخضروات (البصل، البطاطا والثوم) والأشجار المثمرة (التفاح). يعرف السرسو حاليا ديناميكية زراعية مرتبطة بتوافد مزارعين ورؤوس أموال من مناطق تمتاز بماضي زراعي ودراية بهذا النشاط كمعسكر، عين الدفلى، بليدة وميلة، حيث لعب الماء دورا أساسيا في استقطابهم، كما أن زيادة الطلب على المنتجات الزراعية بسبب الزيادة السكانية وتحسن المستوى المعيشي للسكان جعل هذه الزراعات مربحة بشكل كبير. يعرف هذا الاستثمار الزراعي حركة دائمة في منطقة السرسو ويعتمد على كراء الأراضي والماء معا لفترات زمنية محدودة تتم على مستوى أراضي المستثمرات الفلاحية الجماعية أو الفردية (عين بوشقيف والسبعين)، كما يتم على مستوى الأراضي المستصلحة بعد 1983 (خاصة في الرشايقة) وعليه أصبحت هذه الأخيرة (عين بوشقيف، السبعين والرشايقة) مراكز

تبادل على المستوى المحلي والإقليمي وكذا الوطني بفضل منتجاتها من جهة واستقطاب اليد العاملة من جهة أخرى.

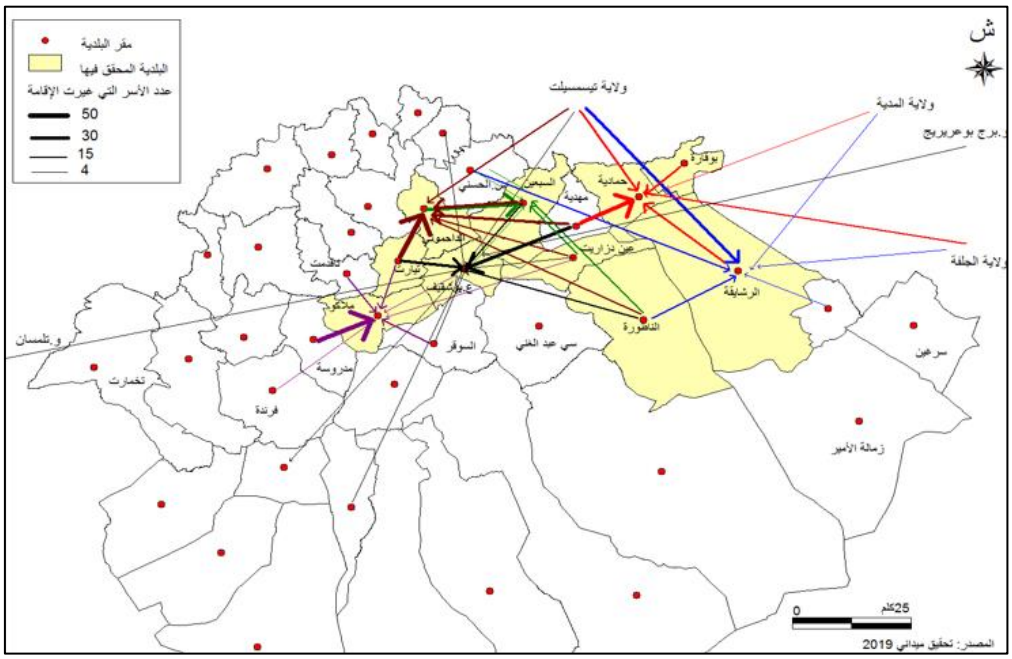

الشكل رقم 8: التحركات السكنية بسهل السرسو (ولاية تيارت)

الوظائف الجديدة (الصناعية وخدمات القطاع الثالث التي ساهمت في تناقص العمالة الزراعية بعدما عرفت المنطقة عدة تقسيمات إدارية (عين بوشقيف، الرشايقة، السبعين، بوقارة والناظورة) وتدعمت قراها بعدة تجهيزات ووظائف مصاحبة لها)، التي اكتسبتها المدن الصغيرة في السرسو إضافة إلى وظيفتها الأصلية أدت إلى ظهور تدفقات الهجرة نحوها على نطاق متعدد الأبعاد (محلي، إقليمي، وطني وحتى دولي) شجعت التحركات السكنية (الشكل رقم 8) وأنعشت التنقلات اليومية خاصة لغرض العمل (الشكل رقم 9).

وجدنا من خلال التحقيق الميداني في المدن الصغيرة في سرسو تيارت أن ما يفوق نصف أرباب الأسر (55.42%) يشتغلون بالمناطق الحضرية بمختلف مستوياتها في وظائف حضرية أيضا داخل وخارج السرسو. تشكل تيارت كمدينة كبيرة أهم قطب حضري مهيمن للعمل (33.51%)، تليها مهدية (21.13%) تيسمسيلت (15.46%) السوقر (13.92%) وأخيرا قصر الشلالة (7.12%) بينما النسبة المتبقية تشتغل بمختلف ولايات الوطن (الشكل رقم 9).

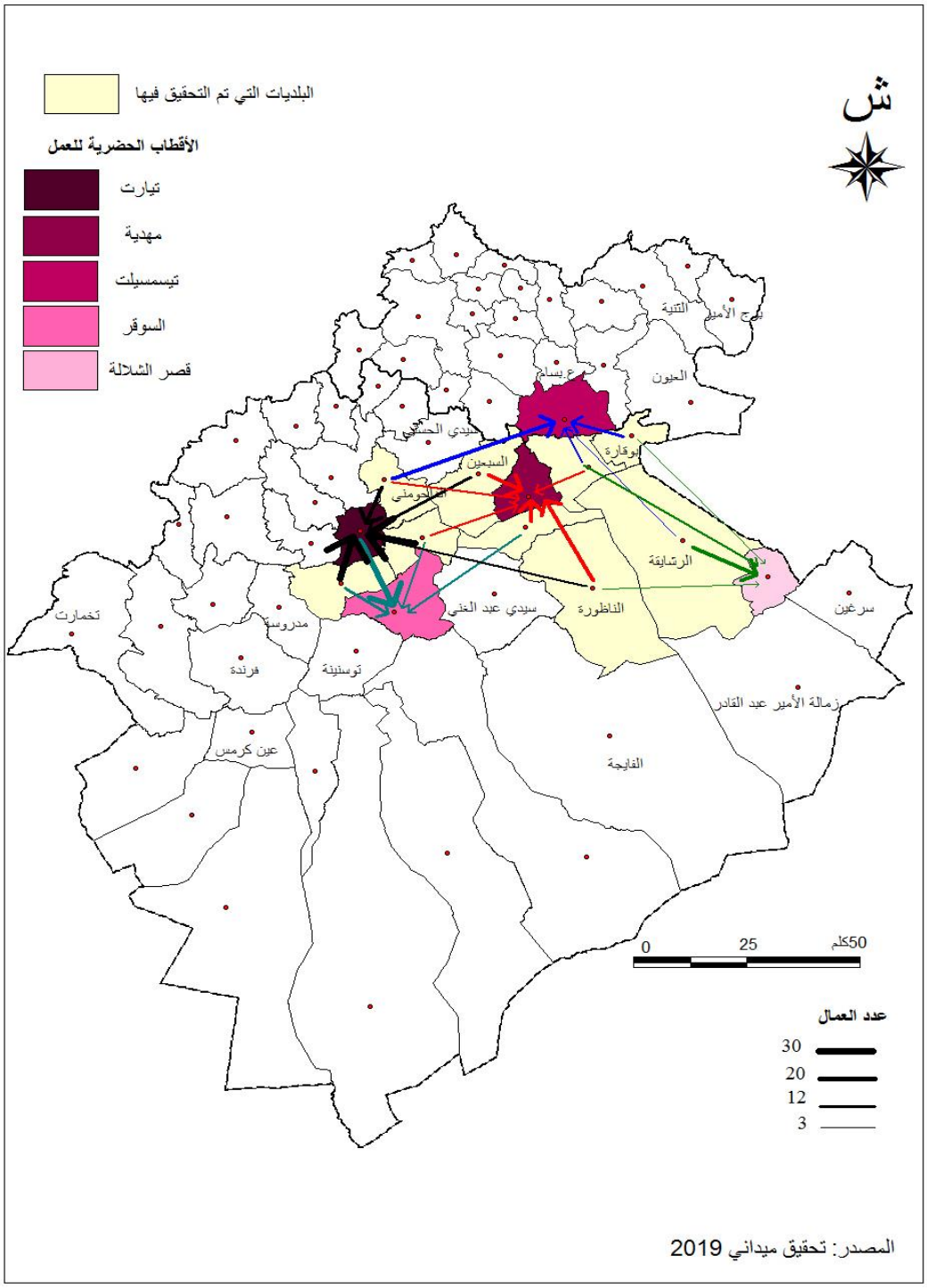

الشكل رقم 9: التحركات السكانية في السرسو بغرض العمل

تكثفت العلاقات التبادلية بين المدن الصغيرة والمراكز العمرانية الكبرى مدعمة بتطور وسائل النقل الجماعية وامتلاك السيارة الخاصة (34.81%) من خلال الصناعة (عين بوشقيف وخميستي) ومن خلال الأسواق الأسبوعية (مهدية، حمادية والرشايقة). كما تلعب المدن الصغيرة

في السرسو دورا مهما على المستوى المحلي، يتمثل في نشر الخدمات الأولية في المناطق الريفية القريبة.

الخلاصة:

أنتجت سياسة تحديث الريف الجزائري التي اعتمدتها الدولة في السبعينات استكمالا للعمليات التي تمت في الفترة الاستعمارية عن طريق انجاز القرى الفلاحية بالسرسو، مجمعات ريفية كثفت الشبكة العمرانية واندمجت فيها بشكل تدريجي وعرفت حركة ديمغرافية متسارعة، مما أدى إلى توسعها مجاليا ووظيفيا. سارت هذه المجمعات (الاستعمارية والاشتراكية) في مسار التحضر الذي حفزه التوطن الصناعي بالقرب منها أو بالمنطقة، كما أدت الترقية الإدارية لبعض المجمعات منها إلى مقار بلديات ودوائر إلى مزاحمة المراكز العمرانية القديمة وإعادة صياغة مجالات نفوذها، تغيرت رتبتها وتصنيفها وأصبحت مدنا صغيرة بالنظر لعدد سكانها وعدد تجهيزاتها ومتاجرها. إن تواجد هذه المدن الصغيرة في منطقة بمقومات اقتصادية كبيرة جعلها تندمج في ديناميتها العامة وتسعى لتأكيد وجودها من خلال الدور الذي تؤديه كمراكز دعم إدارية واقتصادية ضمن علاقة تفاعلية وتكاملية مع المجمعات بمختلف تراتبياتها.

تأثرت المدن الصغيرة في السرسو بمختلف السياسات الحضرية والتنموية فتحولت مجاليا، اقتصاديا واجتماعيا فأصبح البعض منها مجمعات حضرية، أو مناطق تمدد حضري للفائض السكاني لمجمعتي تيارت وتيسمسيلت. تدعم نموها المجالي بوظائف مختلفة خاصة مع توفر العقار العمومي، لكنها بقيت في علاقة دائمة مع محيطها ولا سيما المدن الكبرى (تيارت) والوسيطة (السوقر، قصر الشلالة ومهدية) فيما يتعلق بالعمل، التجارة ومختلف التجهيزات خاصة ذات المستوى العالي.

المراجع:

- Asian Development Bank. (2016) the emergence of pacific urban villages: Urbanization trends in the Pacific islands. Mandaluyong City, Philippines p 1
- Bessaoud O (1980), La révolution agraire en Algérie : continuité et rupture dans le processus de transformations agraires. In : Tiers-Monde, tome 21, n°83, 1980. Algérie 1980. Pages. 605 à 626; doi : https://doi.org/10.3406/tiers.1980.
- Bessaoud O (2016), Les réformes agraires postcoloniales au Maghreb : un processus inachevé, Revue d'histoire moderne & contemporaine 2016/4-4bis (n° 63-4/4 bis), pages 115 à 137.
- Bousmaha ; A (2014) Le Rôle Des Petites Villes Dans Le Mouvement d'urbanisation En Algérie : Le Cas De La Région Centrale Du Tell De L'est Algérien : in Sciences & Technologie D - N°39, Juin (2014). pp.29-44
- Cavaillès H. (1936) Comment définir l'habitat rural ? In : Annales de Géographie. t. 45, n°258. pp. 561
- Côte M (2011), L'Algérie, mondialisation et nouvelles territorialités, Méditerranée, 116, pp. 77–84.

- Cote M. (1994) L'urbanisation en Algérie : idées reçues et réalités In : Travaux de l'Institut Géographique de Reims, n°85-86, Etudes Algériennes. pp. 59
- Debarshi Guin. (2018)From Large Villages to Small Towns: A Study of Rural Transformation in New Census Towns, India in International Journal of Rural Management 14(2) pages 87à109
- Gauthier De Villers (1980), L'État et la révolution agraire en *Algérie*. In : Revue française de science politique, 30e année, n°1, 1980, pages 112 à 139 ; doi : https://doi.org/10.3406/rfsp.1980.393880
- Hadeid M. (2006) Les mutations socio-spatiales d'un milieu à caractère steppique, le cas des Hautes plaines sud-oranaises, algérien », Thèse de doctorat d'Etat en géographie, Université d'Oran, 464p.
- Hachelef M (1988), L'industrialisation de l'Algérie intérieure Tiaret et sa région, thèse de doctorat en géographie, université François Rabelais, 350 P
- Kasdallah N. (2013) Dynamiques d'urbanisation des villes intermédiaires au Maghreb (Algérie, Maroc et Tunisie) : Effet chef-lieu et perspectives de développement ; Université De Cergy-Pontoise 351 p
- Le Coz J. 1979, Dynamique de la Révolution agraire algérienne. La phase de la «bataille de la gestion». In : Méditerranée, troisième série, tome 35, 1-2. L'homme et son milieu naturel au Maghreb. pp. 93-97;doi : https://www.persee.fr/doc/medit_0025-8296_1979_num_35_1_1902
- Megdiche Cyrille (1979) Le financement des villages socialistes. In : Cahiers de la Méditerranée, n°19, 1, 1979. Villages socialistes en Algérie / Le Dahir berbère de 1930 et le monde arabe. pp. 15-33.
- Perrin .R.1960. Le Sersou, Etude de géographie humaine (Deuxième article) https://www.persee.fr/doc/medit_0025-8296_1961_num_2_1_3418
- Perrin R.1960. Le Sersou, Etude de géographie humaine (Premier article) https://www.persee.fr/doc/medit_0025-8296_1960_num_1_2_987
- Otmane T (2001), L'Accession à la propriété foncière agricole par la mise en valeur dans le milieu steppique (Wilaya de Tiaret) Thèse de magister en géographie, université d'Oran (L'Algérie) 280p
- Yousfi B (2012) « Dynamiques urbaines, mobilités et transports dans le Sud-ouest algérien (wilayas d'Adrar et de Bechar) Thèse de doctorat en géographie et aménagement du territoire, université d'Oran 2. 392p

- فكار عثمان. (2013) الاستيطان العمراني الفرنسي في الريف الجزائر مقاربة سوسيو تاريخية، مجلة جامعة دمشق المجلد 29 العدد 3-4ص 590